شهرية المسرح

الموسم الايطالى فى دار الأوبرا الملكية

انقضى الحول مذ جاءت الفرقة الأجنبية الأولى بعد الحرب الطاحنة لتمثيل الأوبرا فى دارنا المصرية ، واستغرق الموسم الثانى قسما من شهر يناير وأكثر شهر فبراير . وكان الموسم الثانى لفرقة إيطالية أيضا .

ولقد تكلمنا من قبل عند استعراض الموسم الأول عن ضرورة تغيير الفرق التى تمثل الأوبرا وعدم الاقتصار على الفرق الايطالية . وكان من عادة دار الأوبرا قبل الحرب الأخيرة ، فيما نذكر ، أن يكون موسمان للفرق الايطالية وموسم لفرقة فرنسية . ومع ذلك لم يمنع هذا النظام من مشاهدة فرقة نمساوية على مسرحنا المصرى فى موسم أو موسمين . وكان هذا التنوع موفقا ، ونرجو أن تأخذ به دار الأوبرا فى إدارتها المصرية بل أن تتوسع فيه ، فتشهد فرقا ألمانية ومجرية وروسية أيضا . فالفن لاوطن له . وقد يكون فى هذا التنوع مايرضى الغرض الفنى الذى نريده من هذه الدار ، ونحن واثقون أن الادارة المصرية الحالية تريده أيضا .

ولقد كنا نحب أن نقتصر فى الكلام عن هذا الموسم على التحليل الفنى للأوبرات التى مثلت على المسرح ، والتحليل الفنى للموسيقى التى عزفت، وللأغانى التى أنشدت، ولكنا نرى الحاجة أمس إلى الكلام على المبادئ . فاننا نعلق الآن آمالا كبيرة على دار الأوبرا ، ونحب الآن أن تتحقق هذه الآمال فى ضوء إدارتها الناهضة ، كما أن زملاء لنا من المحبين للفنون يشككون فى هذه الآمال ، ولا يرون فيها إلا ظلاما حالكا . وأول مبدأ نحب أن نعرض له هو فكرة القديم والحديث فى الفن .

لقد أخذ على دار الأوبرا تكرار مايمثل فيها من مسرحيات ، وغولى فى ذلك ، فقيل إن أوبرات مثل أوتللو و بترفلاى ومانون مثلا ، ليست جديرة بأن تسمى فنا ، بل قيل إنها فن حقير لمجرد أنها تمثل مئات المرات ، ولمجرد أن عامة الشعب على اختلاف الأمم تقبل عليها ، وقد أصبحت مرذولة مبتذلة . وهذا القول عجيب ؛ فان أوتللو وبترفلاى وكارمن ومانون مثلا ، لاتخلو منها المواسم فى باريس أو فى لندن أو فى نيويورك . وليس من بأس مطلقا بل لانفهم مطلقا أن تخلو منها المواسم فى القاهرة . والأوبرات كل المظاهر الفنية ، سواء أكانت موسيقى صرفة أم نحتا أم تصويراً ، هى للمتاع العقلى واللذة الفكرية . وليس الغرض منها الاستمتاع بها مرة ثم اطراحها إلى غيرها مما هو جديد . بل إن العمل الفنى على تفاوت قيمته يعيش مع الزمن ، وتتجدد اللذة به وتقوى كلما زاد المرء معرفة به . كما أن الزمن الذى كان يقال فيه إن الفن ارستقراطى لايشعر به غير الخاصة قد مضى ولم يعد ملائما لتقدم الأمم . ففى بلاد مثل روسيا مثلا ، لانعتقد أن الذين يملأون دور الأوبرا فى هذه الأيام وقد يكونون بملابس العمل ، أقل فهما من أولئك النبلاء الذين كانت تمتلىء بهم مقاصير دار الأوبرا الامبراطورية ، وتلمع صدورهم

بمختلف الأوسمة المرصعة . بل كل ما نقرؤه عن تلك البلاد البعيدة يدل دلالة واضحة على أن الفن فيها لا يقل رقيا فى هذا العصر عنه فى الزمن القديم . والفن لا يمكن أن يعيش إلا بالتشجيع .

ونحن إذا أردنا أن ننبه دار الأوبرا فى مصر إلى تنويع البرامج ، بحيث تشاهد المجهودات الفنية الجديدة ، فلسنا نقصد أن تعدل عن القديم إلى الجديد . وليست دار الأوبرا فى مصر حقلا للتجارب ، لمجرد سبب واحد هو أن نوع الاوبرا لم ينشأ بعد فى مصر . ولو كانت هنالك مسرحية واحدة من هذا النوع لحنها موسيقى مصرى ، أو أجنبى نزيل ، لطالبنا دار الاوبرا بأن تعرضها تشجيعاً للمصرى أو النزيل مهما كانت غير جديرة بهذه الدار ، ولكننا فى الأوبرا لانزال مقتبسين .

فالطريقة المثلى التى نود أن تنفذها الادارة الحالية هى أن تظهر بعض المؤلفات الحديثة أو التى لم تشاهد من قبل فى الدار أو التى شوهدت من زمن مديد ؛ فتشترط على الفرق أن يكون بين برامجها مسرحيتان أو ثلاث أو أربع من هذا النوع ، إلى جانب المسرحيات العتيدة المعروفة ، وبذلك توفق بين القديم والحديث .

مسألة أخرى نحب أن نعرض لها ، هى أنه مادامت لاتوجد فرق مصرية يعتمد عليها فى تمثيل الأوبرات ، فانه سيتحتم علينا أن يكون هنالك موسم لفرق أجنبية ، بل ربما تحتم علينا دائما فى جميع الفنون التمثيلية أن تفد إلى مصر فرق أجنبية ؛ فان فى ذلك حافزاً على النهوض بتلك الفنون . وستزداد بمرور السنوات صعوبة الحصول على فرق ممتازة . واذا كان فى السنوات التى تلى الحرب مباشرة نجد ذلك ميسوراً ، فان ذلك يزداد صعوبة كلما انتعشت الحالة فى أوربا .

ولنثق أن الحالة فى أوربا ستنتعش سريعا . فتلك شعوب حية لاتستكين إلى حالتها إذا ساءت ، وتعمل سريعا للحصول على حاجاتها . والفن هو إحدى هذه الحاجات ؛ فهو ليس أمراً كماليا لديها ، بل هو من الأمور الأساسية فى الحياة .

لذلك سيكون واجبا على إدارة الأوبرا أن تبذل جهداً ، يزيد عاما بعد عام ، فى أن تأتى بالفرق الممتازة . ولا شك أن مثل هذه الفرق ستكون فى شاغل عن القدوم إلى مصر لازدهار المواسم فى أوربا . على أن لدينا شيئا من الاغراء فى جو هذه البلاد وشمسها . فليستعمل هذا الاغراء إلى أقصى حد ، ولنراقب المتعهدين باحضار الفرق مراقبة شديدة ، كى لايفضل هؤلاء المتعهدون المال على الفن .

ونحب فى معرض الكلام عن هذه المسألة أن ننتقل من التعميم إلى التخصيص ، فنقول إن فرقة هذا العام تحتوى على مغنين ومغنيات من الممتازين فى سماء الأوبرا بايطاليا . ولكننا نشعر بأن هنالك شيئا من عدم التوازن فى الفرقة . وأغلب الظن أن ذلك نشأ عن المغنيات أكثر مما نشأ عن المغنين . فقد كان بعض المغنيات ذوات الأدوار الأولى متقدمات فى السن ، وميالات إلى البدانة . ويحضرنا فى ذلك دور مانون وفيدورا وبطلة الصديق فرتز . فقد كانت البدانة تفسد الدور . ومع ذلك فقد أظهر بعضهن فنا كبيراً ، حتى لقد نسينا بدانة مانون وكبر سنها الظاهر ، حين رأيناها فى الغناء تبز أقرانها من المغنين أمامها ، فتجتذب الآذان إن لم تجتذب العيون . وهذا يوجد دائما نوعاً من عدم التناسب يظهر سريعا فى المسرحيات المغناة ؛ لأنها كما قلنا أكثر من مرة فن صناعى ومغرق فى البعد عن الطبيعة .

وعلى كل حال هل لى أن أطالب دار الاوبرا بالكثير ؟ وهل لمجرد أنى أرغب فى رؤية «بلياس وملیزاند» و«ووزيك » مثلا، أنادى بأن تقتصر دار الأوبرا على هاتين المسرحيتين لأجلس وأستمتع وسط المقاعد الخالية ؟ دع عنك هذه الأحلام ، ومن يرد ذلك فعليه أن يجرى وراء استمتاعه ، فيجوب البلاد ويتنقل ليسمع مايريد .

يكفى أن نطالب دار الأوبرا بأن تحتفظ بمستوى فنى خاص للفرق التى تأتى بها ، فلا تنزل بالمستوى إلى ما يقرب من فن الأوبريت ، ولا ننتظر منها أن ترتفع بالمستوى إلى مافوق مقدورها ؛ فان ذلك قد يؤدى بها إلى تشويه مسرحيات عظيمة . وكل ما نراه واجبا علينا نحن النقاد هو التشجيع والتحذير .

حسن محمود